

امتحان شاعر*

كان صاعد^(١) بين يدي المنصور بن أبي عامر ، فأخضرت إليه وردة في غير وقتها لم يستقم فتح ورقها ، فقال صاعد مرتجلاً :

أتتك أبا عامر وردةً يذكرك المسك أنفاسها
كغذراء أبصرها مبصرٌ فغطت بأكامها رأسها

فسرّ بذلك المنصور ، وكان ابنُ العريف حاضراً فحسده ، وقال لابن أبي عامر :
هذان البيتان لغيره ، وقد أنشدنيهما بعضُ البغداديين لنفسه بمصر ، وهما عندي على ظهرِ كتاب بخطه !

فقال له المنصور : أرنيه . فخرج ابنُ العريف ، وركب ، وحرك دابته ، حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة ، فوصف له ما جرى ، فقال هذه الأبيات ودسّ فيها بيتي صاعد :

غدت إلى قصر عباسة وقد جدل^(٢) النوم حراسها
فأنفيتها وهي في خدرها وقد صرع^(٣) السكر أناسها
فقال : أسار على هجعة^(٤) قلت : بلى قرمت كاسها
ومدت يديها إلى وردة يحاكي لك الطيب أنفاسها

* نفع الطيب : ٢ - ٨٩

(١) هو أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي اللغوي ، وأصله من الموصل ، وهو من الوافدين إلى الأندلس ، وكان شديد البديهة في ادعاء الباطل ، وكان مع ذلك عالماً . توفي سنة ١٧٤ هـ .
(٢) جدله : صرعه . . (٣) صرع فلاناً : ضربه شديداً . (٤) الهجعة : طائفة من الليل .

كَمَذْرَاءَ أَبْصَرَهَا مَبْصِرًا ففَطَّتْ بِأَكَامِهَا رَأْسَهَا

فسار ابنُ العريفِ بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخطِّ مصري ، ومدَّاد أشقر ،
ودخل بها على المنصور .

فلما رآها اشتدَّ غيظه على صاعد ، وقال للحاضرين : غداً أمتحنه ، فإن فضحه
الامتحانُ أخرجتهُ من البلاد ، ولم يبق في موضع لي عليه سلطان .

فلما أصبح وجهُ إليه ، فأحضر وأحضر جميع الندماء ، فدخل بهم إلى مجلس ،
قد أعدَّ فيه طبقاً عظيماً ، فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير . ووُضع على السقائف
لعب من ياسمين في شكل الجوارى ، وتحت السقائف بركة ماء ، قد ألقى فيها اللآلئُ
مثل الحصباء ، وفي البركة حية تسبح .

فلما دخل صاعد ورأى الطبق ، قال له المنصور : إن هذا يوم إما أن تسعد فيه
معنا ، وإما أن تشقى به عندنا ، لأنه قد زعم أن كلَّ ما تأتي به دعوى ، وقد وقفتُ
من ذلك على حقيقة ؛ وهذا طبق ما توهمتُ أنه حضر بين يدي ملكٍ قبل شـكـله ؛
فضيفه بجميع ما فيه ، فقال صاعد بديهة :

أبا عامر هل غيرُ جدواك واكف^(١) وهل غيرُ منَ عاداك في الأرض خائف
يسوق إليك الدهرُ كلَّ غريبةٍ وأعجبُ ما يلقاه عندك واصف
وشائع^(٢) نور صاغها هامرُ الحيا^(٣) على حافتيها عبهر^(٤) ورفارف^(٥)
ولسا تناهى الحسن فيها تقابلت عليها بأنواع الملاهي الوصائف

(١) وكف : فطر . (٢) الوشيعة : كل لفيفة وجمعها وشائع . (٣) الحيا : المطر .

(٤) العبهر : الياسين . (٥) الرفرف : الرف يوضع عليه طرائف البيت وجمعه ررفارف .

كَمِثْلِ الطَّبَاءِ الْمَسْتَكِنَةِ كُنْسَا تَطْلُلُهَا بِالْيَاسَمِينِ السَّقَائِفُ
وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنْهِنَّ نَوَاطِرُ إِلَى بَرَكَةِ ضُمَّتْ إِلَيْهَا الطَّرَائِفُ
حَصَاهَا اللَّآلِي ، سَابِحٌ فِي عُبَابِهَا مِنْ الرَّقْشِ مَسْمُومُ الثَّعَالِبِينَ زَاحِفُ
تَرَى مَا تَرَاهُ الْعَمِينَ فِي حَنْبَاتِهَا مِنْ الْوَحْشِ حَتَّى يَبْنِينَ السَّلَاحِفُ

فَاسْتَعْرَبَتْ لَهُ يَوْمَئِذٍ تِلْكَ الْبَدِيهِيَّةَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَكَتَبَهَا الْمَنْصُورُ
بِحِظِهِ . وَكَانَ إِلَى نَاحِيَةِ مِنْ تِلْكَ السَّقَائِفِ سَفِينَةٌ ، فِيهَا جَارِيَةٌ مِنَ النُّوَارِ ، بِمَجَازِيفٍ
مِنْ ذَهَبٍ لَمْ يَرَهَا صَاعِدٌ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَحْسَنْتَ إِلَّا أَنْكَ أَغْفَلْتَ ذِكْرَ الْمَرْكَبِ
وَالجَّارِيَةِ ، فَقَالَ لِلْوَقْتِ :

وَأَعْجَبُ مِنْهَا غَادَةٌ فِي سَفِينَةٍ مَكَلَّلَةٌ تَصْبُو إِلَيْهَا الْمَهَاتِفُ^(١)
إِذَا رَاعَهَا مَوْجٌ مِنَ الْمَاءِ تَتَّقِي بِسَكَانِهَا مَا أَنْذَرْتَهُ الْعَوَاصِفُ
مَتَى كَانَتْ الْحُسْنَاءُ رُبَانَ مَرْكَبٍ تُصَرِّفُ فِي يَمَنِ يَدِيهِ الْجَازِفُ
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي فِي الْبِلَادِ حَدِيقَةٍ تَنْقُلُهَا فِي الرَّاحَتَيْنِ الْوَصَائِفُ
وَلَا غُرُو أَنْ سَاقَتْ مَعَالِيكَ رَوْضَةً وَشَتَّهَا أَزَاهِيرُ الرِّبَا وَالزَّخَارِفُ
إِذَا قَلَّتْ قَوْلًا أَوْ بَدَهَتْ بَدِيهِيَّةً فَكَلِّنِي لَهُ ، إِنِّي لِمَجْدِكَ وَاصِفُ

فَأَمَرَ لَهُ الْمَنْصُورُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَمِائَةِ ثَوْبٍ ، وَرَتَّبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثِينَ دِينَارًا
وَأَلْحَقَهُ بِالنَّدْمَاءِ .

(١) فلانة يهتف بها : يذكر جمالها .